كذلك لا حاجة الى وجود مستشار قضائى ومستشار مالى ، فاذا كان لابد من وجودهما وجب تحديد اختصاصهما والمدة التى يبقيان فيها تحديدا ضيقا ، بحيث لا يتنافى وجودهما مع سيادة الدولة ، ولا يؤيد دعوى الانجليز فى حماية المصالح الأجنبية ، ولا يتعارض مع المسئولية الوزارية .

وغنى عن البيان أن الادارة المصرية تستبقى حقها مطلقا فى إبعاد الأجانب غير المرغوب فيهم عن مصر ، فان هذا هو حقها فى الوقت الحاضر لم يؤثر فيه وجود الامتيازات الأجنبية ولا قيام المحاكم المختلطة . كذلك يكون للادارة المصرية والهيئة التشريعية اتخاذ التدابير اللازمة لمنع المهاجرة الى مصر أو تقييدها إذا استلزمت مصلحة البلاد ذلك . وللحكومة المصرية الحرية الكاملة فى عقد معاهدات مع الدول بشأن تسليم المجرمين الفارين . كل هذا نذكره لا لأن هناك شكا فى ان الحكومة المصرية تملكه ، فانه لا يوجد أحد ينكر عليها هذه الحقوق التى لم تتأثر بالامتيازات الأجنبية ، وإنما نقرره هنا لأنه ورد ذكره فى مشروعات هرست المعروفة ، وكان يراد تضييق سلطة الحكومة المصرية فيه فنرجع الى الوراء بدلا من أن تتقدم الى الامام .

***

هذه هى أسس المعاهدة التى نقترح أن تعرضها الحكومة المصرية على الدول ذوات الامتيازات . وقد راعينا فى وضعها الا تتضمن من المبادىء والأحكام إلا ما أقرته انجلترا نفسها فى المفاوضات التى دارت بينها وبين الوزارات المصرية المختلفة ، وإلا ما كان متفقا مع العدالة وما تستدعيه حالة البلاد من تعديل النظم القائمة . وهذه الأسس هى الحد الأدنى لما تطلبه البلاد فى الوقت الحاضر ، على أن تسترد الدولة المصرية سيادتها كاملة متى حانت الظروف المناسبة . وإذا كنا فى حاجة الى اقناع أحد بصلاحية هذه الأسس فليست هى الدول ذوات الامتيازات التى تحتاج الى ذلك ، وهى تعرف حق المعرفة أن لها المطالب ، عادلة معتدلة ، وانما حاجتنا هى اقناع الجانب المصرى نفسه بالاقتصار على هذه المطالب ، بعد أن دوت صرخة الرأى العام تنادى بالغاء الامتيازات الاجنبية دون الابقاء على أى أثر منها . على أننا اذا كنا استبقينا بعض هذه الآثار فى المعاهدة المقترحة ، فانها لا تبقى الا فى فترة الانتقال من حالتنا الحاضرة الى حالة أخرى تعود فيها الى مصر سيادتها الكاملة . ولذلك جعلنا المعاهدة مؤقتة ، وأعطينا لمصر حق الغائها باعلان يصدر من جانبها . وقد تكون فترة الانتقال هذه ضرورية فى الوقت الحاضر ، حتى لا تباغت البلاد بتغيير مفاجئ طفرة واحدة .

فاذا عرضت هذه الأسس على الدول ذوات الامتيازات ، فقد تقبلها هذه الدول جميعها ، أو يقبلها عدد كبير منها (والعبرة بعدد الرعايا لا بعدد الدول) ، وفى هذه الحالة تعقد المعاهدة مع الدول التى قبلت ، ولا نعتد بالأقلية التى لم تقبل ، فهذه لا تلبث أن تنضم الى المعاهدة ، كما فعلت فرنسا فى سنة ١٨٧٦ . وينتهى الأمر عند هذه الخطوة الثانية . أما إذا لم تقبل الدول هذه الأسس ، فعلى الحكومة المصرية أن تخطو فى التدابير التى تتخذها الخطوة الثالثة وموعدنا بتفصيلها العدد المقبل .

عبد الرزاق السنهورى

لا غالب الا الله . . ! (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

ذهبت البارحة الى مسرح الحمراء . وقد سمى الاوربيون كثيراً من ملاهيهم باسم الحمراء بعد أن حرفوه الى الهمبرا . سألت نفسى فى الطريق كيف حرّف الاسم هذا التحريف ؟ فقالت : ان الزمان ليطمس الأعيان ثم يذهب بالآثار ، فما ابقاؤه على الاسماء ؟ أشفقت من هذا الحديث أن أتعلغل فيما وراءه من آلام وأحزان ، فقلت : فيم الفرار من الكد والعناء إلى هذا الملهى إن بدأت حديثه بالمرائى والمصائب ؟

أخذت مكانى بين الجالسين فسرحت طرفى فى طراز عربى من البناء والنقش ، واذا منظر يفتح لى من التاريخ فجاجا ملأى بالاهوال والعبر . لبثت أتأمل البناء متحرزاً أن أجتازه الى ما وراءه من خطوب التاريخ . وما زلت أصوب النظر وأصعده فى المسرح حتى جمد البصر على دائرة فى ذروته لاحت فيها أحرف عربية ،

(١) كتبه فى لندره سنة ١٩٢٥

فكنت وإياها غريبين فى هذا الجمع ، وكل غريب للغريب نسيب ، بل كنت وإياها نجيين فى هذا الحفل لا يفهمها غيرى ، ولا تأنس من الوجوه الحاشدة بغير وجهى . أجهدت البصر الكليل فى قراءة الاحرف فاذا هى « لا غالب الا الله » . يا وياداه !

شعارينى الأحمر الذى حلوا به قصورهم ومساجـــدهم . ؟ انها لسخرية أن توضع هذه الكلمة الجليلة فى هذا الملهى ، وأى جليل من ماضينا المجيد لم يتخذه القوم سخرية ؟ ترأت هذه الكلمة فاذا هى عنوان لكتاب من العبر ، قلبته صفحة صفحة ذاهلا عما حولى فلم أنتفع بنفسى فى مشهد اللهو واللعب ، ولم تحس أذنى الموسيقى والغناء . أغمضت عينى عن الحاضر لأفتحها على المـاضى . وصمت الأذن عن ضوضاء المكان ، لتصيخ الى حديث الزمان .

وناهيك بجولان الفكر طاويا الأعصار ، متنظما البوادى والامصار ، واثبا من غيب التاريخ الى الحاضر ، ومن الحاضر الى غيب التاريخ .

شهدت فى ساعة جيوش طارق غازية من الزقاق الى البرتات ، وشهدت مصرع عبد الرحمن الخافقى فى بلاط الشهداء ، وشهدت جلاد الاجيال من المسلمين والاسبان ، ورأيت الناصر فى حربه وسلمه ملء العـــين جلالا ورهبة ، وملء القلب عدلا ورحمة . ورأيت البطل ابن ابى عامر يحالف الظفر فى خمسين غزوة ، ويجد المغار حيث نكصت الهمم والعزائم من قبله . ورأيت دولة الامويين تزلزل فتصدع فتنهار ، وأبصرت ملوك الطوائف يتنازعون البوار والعار ، ويؤدون الجزية الى الفونس السادس صاغرين . ثم سمعت جلبة جيوش المرابطين يقدمها يوسف بن تاشفين ، وشهدت موقعة الزلاقة القاهرة ، ثم رأيت راية المرابطين تلفف رايات ملوك الطوائف . وهذه دولة الموحدين ، وهذا المنصور يعقوب بن يوسف فى موقعة الأرك يحطم جيوش الاسبان بعد الزلاقة بمائة عام . ورأيت موقعة العقاب وقد دارت على المسلمين دوائرها . والناصر ابن يعقوب يفر بنفسه بعد أن اقتحمت عليه المنايا دائرة الحراس ورأيت غرناطة وحيدة فى الجزيرة يتيمة ، قـــد ذهبت أترابها ، وصارت كما قال طارق يوم الفتح : أضيع من الايتام فى مأدبة اللئام ، ولكنها على العلات ، ورثت مجد المسلمين وكبرياءهم فحالدت الدهر عن نفسها مائتين وخمسين عاما ، وحمت حضارة المسلمين على رغم النوائب وكلب الاعداء . ثم رأيت أشراط الساعة —

رأيت أبا الحسن وأخاه محمدا يتنازعان السلطان على مرأى من العدو ومسمع ، ورأيت أبا عبدالله ينازع أباه أبا الحسن . ذلك الملك المائل ، والظل الزائل ، ورأيت العراك المديد بين أبى عبدالله وعمه الزغل كما تتناطح الخراف فى حظيرة القصاب . وتلك جيوش فرديناند وايزابلا تنيخ على مدينة بعد أخرى ، وتدك معقلا بعد آخر ، ومالقة تجاهد الكوارث جهاد المستميت ، والزغل يشق الاهوال اليها ليقذها ، فيقطع أبو عبدالله طريقه ويرد جنده . ومالقة فى قبضة العدو ، وأهلها أسارى يباعون فى الأسواق ويتهادام الملوك والكبراء . وهاهو الزغل يسلم واديا بش الى العدو على منحة من الأرض والمال . ثم يعيا بأعباء المذلة والهوان فيهاجر الى المغرب . ثم شهدت يوم القيامة ، الجيوش محيطة بغرناطة وأهلها يغيرون على العدو جهد البطولة والاستبسال والصبر ، ثم يغلق عليهم الضعف أبواب المدينة . وهذا من ربيع سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وابو عبد الله يسير الى فرديناند فى كوكبة من الفرسان لا محاربا ولا معاهدا ، ولكن ليسلم اليه مفاتيح الحراء . نظرت الصليب الفضى الكبير يتلألأ على أبراج القلعة ، وبكيت مع أبى عبد الله وهو يودع معاهد المجد وملاعب الصبا من الحراء وجنة العريف . وسمعت أمه عائشة تصرخ فى وجهه : « ابك اليوم كالنساء على ملك لم تحتفظ به احتفاظ الرجال » فينهل دمعه ، وتتصاعد زفراته على الأكمة التى يسميها الاسبان اليوم « آخر زفرات العربى » . وهذا أبو عبد الله وهو الذى باء بأوقار من العار والذل تأبى فيه بقية من الشمم العربى أن يقيم على الضيم فيهاجر الى المغرب ، ويرسل الى سلطان فاس من بنى وطاس رسالته الذليلة المسهبة يدفع عن نفسه ما قرف به فى عرضه ودينه . ويشكو الى السلطان حزنه وبثه ويقول :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم ... رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن ... جار الزمان عليه جور متقم

عى رأسى وقلبى بهذه الاحداث الكاربة ، والخطوب المتلاحقة ، وهالتنى هذه المشاهد المفظعة ، فخرجت من هذه الغمرة مرتاعا كما يستيقظ النائم عن حلم هائل .

نظرت أمامى فاذا المسرح ، وصعدت بصرى فاذا الدائرة : « لا غالب الا الله . »

عبد الوهاب عزام